

قتل بلغ معدلها ٣٨١ حالة لكل ١٠٠ ألف نسمة. واليوم يبلغ هذا المعدل ٢٠ تقريبا لكل ١٠٠ ألف من السكان — أي أن الجرائم انخفضت بنسبة ٩٥%. وبرغم أن الرقم الوحيد المقبول هو صفر، فقد حققنا تقدما كبيرا في كبح العنف وضمن احترام الحياة.

وحول ما إذا كانت هناك نقطة تحول معينة، فهي مسألة شائكة وموضع جدل. فمنذ أن قرر رجال الأعمال البقاء في ميدلين في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي — وعدم الرضوخ للعنف — بدأنا تطور استراتيجية حيوية جذورها هي العمل بروح الفريق. وبنيان الأعمال في مدينتنا متين للغاية، ويمكن إرجاع ذلك بشكل كبير إلى المصاعب التي كان على القطاع الخاص أن يواجهها في صراعه من أجل البقاء. وفي خضم أعمال العنف، كان البقاء في المدينة عملا عظيما وشجاعا.

ولم تكن ثمة طرق مختصرة، ولكن كانت هناك حلول عملية. وكان أحد هذه الحلول ينطوي على علاقات الشراكة بين القطاعين العام والخاص، والدوائر الأكاديمية، والمجتمع المدني. وكان عمل المجتمع كفريق واحد من العوامل المحددة للتحول الاجتماعي في المدينة. لقد انقلبت قيَمنا رأسا على عقب بفعل المافيا: فحولت معاني الجدية والإخلاص في العمل إلى الأموال سهلة الكسب، والرصانة إلى البذخ، والأسوأ من ذلك كله، لقد انتزعت قيمة الحياة ووضعت لها سعرا. وبرغم أن الطريق أمامنا لا يزال طويلا، فقد بأننا نستعيد هذه القيم كالحياة والاحترام والحرية.

وفي غضون أقل من ثلاثة عقود، أصبحت ميدلين مدينة تحثذي بها مدن العالم، إنها مدينة الابتكارات الاجتماعية وهي اليوم واحدة من المراكز المنتسبة لشبكة الثورة الصناعية الرابعة في أمريكا اللاتينية، في ظل الشراكة مع المنتدى الاقتصادي العالمي. لقد شهدنا أسوأ ما يمكن أن يمر به أي مجتمع فازدنا قوة وأصبحنا أكثر صلابة. وميدلين مدينة تعترف باماضيها وتفخر بحاضرها، والأهم من ذلك كله، تتطلع إلى مستقبلها بكل تفاؤل.

**التمويل والتنمية: ما الأولويات القصوى التي حددتها كعمدة للمدينة؟**

**فيدريكو غوتيريث:** إن أولويات الحكومة يجب ان تكون، بطريقة أو بأخرى، هي أولويات السكان. وبالنسبة لنا، كانت أولوياتنا هي التعليم والأمن والاستدامة.

لقد رصدنا أعلى ميزانية للتعليم في تاريخ ميدلين. ومن خلال واحد من برامجنا الرئيسية، نجحنا في إعادة ما يزيد على ٨ آلاف طفل إلى فصول الدراسة، وكانوا خارج النظام التعليمي لأسباب مختلفة. وأتحننا ما يزيد على ٤٣ ألف منحة دراسية للتعليم العالي. وكانت تلك أفضل استراتيجية لاستتباب الأمن على المدى الطويل — فأتاحت فرصا للنجاح ضمن إطار الشرعية.

ومن الناحية الأمنية، لقد وجهنا ضربات قوية لهياكل ظلت تعمل على مدى عقود. ولا تزال مسألة الأمن معقدة



الصورة: إهداء من فيديريكو غوتيريث

## معجزة ميدلين

العمدة السابق فيديريكو غوتيريث يناقش مسألة إعطاء الأولوية للأمن والاستدامة وكيف مهدا الطريق لمدينة من مدن القرن الحادي والعشرين

**في عام ١٩٩١ كانت ميدلين،** ثاني أكبر المناطق الحضرية في كولومبيا، هي أشد مدن العالم عنفا. واليوم، أصبحت «مدينة الربيع الدائم» معروفة دوليا بأنها واحدة من أكثر مدن العالم ابتكارا واحتواء واستدامة.

وُلد فيديريكو غوتيريث في مدينة ميدلين عام ١٩٧٤ مع بدايات فترة عنيفة من النزاعات المسلحة في كولومبيا، وشغل منصب عمدة المدينة من يناير ٢٠١٦ حتى يناير ٢٠٢٠ — فساعد في قيادة كثير من الجهود لتقوية مستقبلها كمدينة للسلام والرخاء. ويقول غوتيريث إن العزيمة والإصرار والوحدة التي يُبديها سكان ميدلين تعود إلى التزامهم بالتغلب على العنف والصراعات، فحازت مدينتهم الجوائز ونالت إعجاب الكثيرين. وفي حديثه مع مارجوري إنريكيت من مجلة التمويل والتنمية، يطرح غوتيريث أفكاره حول التحول الهائل الذي شهدته المدينة على مدى الثلاثة عقود الماضية.

**التمويل والتنمية: ما هي نقطة التحول التي شهدتها مدينة ميدلين؟**

**فيدريكو غوتيريث:** في حقبة الثمانينات والتسعينات، وصل مجتمعنا إلى الحضيض في ظل مأساة الإرهاب المرتبط بالإتجار بالمخدرات. وفي عام ١٩٩١ شهدنا جرائم



الصورة: KAROL KOZLOWSKI/NEWS.COM

مدينة ميديلين، كولومبيا

برنامج *Parceros* — أي «الشركاء» — ويركز على إقلاع الشباب عن النشاط الإجرامي. وبنينا إطارا مؤسسيا لدعم الاستثمارات الاجتماعية. وواصلت الإدارات التي توالى على المدينة تنفيذ هذه المشروعات إذ أدركت أن المسألة لا تبدأ من جديد بانتخابات جديدة كل أربع سنوات.

### التمويل والتنمية: وكيف ضمنت أن تظل ميديلين على المسار الصحيح؟

**فيدريكو غوتيريث:** إن نجاح ميديلين يعتمد على أهلها وعلى الثقة المتبادلة. وهذه العملية طويلة الأجل لإعادة بناء المدينة تقوم على جهد جماعي — فلا يسع أحد النجاح بمعزل عن الآخرين.

فكانت الخطوة الأولى هي الاعتراف بالنتائج التي تحققت في السابق، ومواصلة العمل ولكن مع البناء عليها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن وقت أي قائد في منصبه قصير. واستطعنا أن نحسن جودة الحياة، كما يتضح من بلوغنا أعلى نقطة في المؤشر متعددة الأبعاد لجودة الحياة. لقد استثمرنا في الموارد بكفاءة وشفافية حيثما كانت هناك حاجة لذلك — وليس حيثما يمكن أن نحصل على أكبر عدد من الأصوات. لقد اتخذنا إجراءات في مجالات لا تزال المدينة تجني ثمارها حتى اليوم: مكافحة الجريمة والدفاع عن سيادة القانون والنظام، وزيادة الوعي بأهمية جودة البيئة والهواء، وكبح معدل التسرب من المدارس، والسعي لمناصرة وسائل التنقل المستدامة في أمريكا اللاتينية وإبراز دور ميديلين كمركز منتسب لشبكة الثورة الصناعية الرابعة.

### التمويل والتنمية: وكيف استطعت أن تعرف احتياجات الناس؟

**فيدريكو غوتيريث:** لقد ظللت على مدى سنوات أجوب شوارع ميديلين، وأتحدث إلى أهلها حتى قبل أن أصبح عمدة المدينة. وأنت كقائد، يجب أن تعرف كيف تستمع للآخرين، وأن تضع نفسك مكانهم، وأن تتفهم معاناتهم اليومية. **FD**

للغاية. فهناك أعمال إجرامية تُقترب، لكن الأوضاع أهدأ بكثير مما كانت عليه في وجود العصابات خلال حقبة الثمانينات والتسعينات. ومنهجنا ينطوي على ما هو أكثر من استراتيجية الشرطة — إنه نموذج شامل يمنح الفرص ويبني الثقة ويكافح الجريمة ويركز على الاستثمارات الاجتماعية الاستراتيجية للدولة والتي كانت معدومة في السابق، مما سمح للفوضى بأن تسود.

وبالنسبة للاستدامة، كان أول إجراء اتخذناه هو إدراج جودة الهواء ضمن جدول أعمال المدينة. فنتيجة لتضاريس ميديلين والرياح التي تهب عليها، تتراجع جودة هوائها كثيرا مرتين في السنة: خلال شهري مارس وأكتوبر. وكانت المؤسسات تحتفظ بهذه البيانات لسنوات طوال ولم تطلع عليها عامة الجمهور. كان الناس يظنون أن الضباب الدخاني عبارة عن غيوم. وبدأنا بالإقرار بالمشكلة صراحة. ثم عزمنا على أن نصبح عاصمة أمريكا اللاتينية لوسائل النقل المستدامة، فأضفنا إلى أسطول المدينة ٦٥ حافلة تعمل بالكهرباء، وجددنا الحافلات القديمة بالوسائل التكنولوجية النظيفة. وهناك المترو المعلق الجديد (نظام عربات السكك الحديدية المرفوعة في المدينة)، ومسارات للدراجات تمتد لما يزيد على ٨٠ كيلومترا، ومزيد من أرصفة المشاة. وانتهينا من إعداد الهيكل الفني والقانوني والمالي للترام الجديد في غرب المدينة. وبدأنا كذلك مشروعنا تجريبيا بتشغيل سيارات أجرة تعمل بالكهرباء بنسبة ١٠٠٪. وأنا من أنصار النقل العام. فقليلة هي الأشياء التي تدعم مبادئ المجتمع الديمقراطي أكثر من الأماكن العامة الجيدة ونظام جيد للنقل العام.

وأشأننا كذلك ٣٦ رواقا أخضر تفتح أكثر الطرق ازدحاما في المدينة، وزرعنا ما يزيد على ٨٩٠ ألف شجرة.

### التمويل والتنمية: هل يمكن أن تصف لنا بعض إنجازات ميديلين الأكثر إبداعا.

**فيدريكو غوتيريث:** يطلق البعض على ما حدث هنا «معجزة ميديلين»، ولكنها لم تكن معجزة — إنها انعكاس لسنوات طويلة من العمل الجاد.

فعلى سبيل المثال، استطعنا بمساعدة قطاع الأعمال من إطلاق برنامج «نسيج المنازل» (*Tejiendo hogares*)، التزاما منا ببناء النسيج الاجتماعي من خلال تدريب الأسر في مجالات مفيدة. لقد أدركنا أنه لا طائل من توفير أفضل البنى التحتية في الأحياء إذا كانت المنازل تحوي في داخلها العنف ضد المرأة والطفل. وأطلقنا كذلك مبادرة «ميديلين تعانق تاريخها» (*Medellín abraza su historia*) لتذكركم الكفاح من أجل ثقافة الشرعية، وتضمنت تحديث «متحف بيت الذكريات»، وتصوير أفلام وثائقية، وهدم مبنى موناكو — محل الإقامة السابق لبابلو إسكوبار — من أجل أفراد مساحة لبناء حديقة تذكارية لتكريم ضحايا الإرهاب المرتبط بالإتجار بالمخدرات. وأسسنا كذلك